قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم
رئيف خوري

« ان دارسي فن الملاحم يحدثوننا ان زمن تأليف الملاحم قد انتهى ، وان عصرنا لا يتناسب مع هذا النوع من التأليف الأدبي، فليس بين الشعراء من هو على استعداد لأن ينفق عشرة اعوام على اقل تقدير لكي يكتب لنا ملحمة شعرية ، فان عشرة اعوام في تاريخ العالم المعجل الآن تعد فترة كافية لتقييد القيم الانسانية ، فضلاً عن ان العالم قد اصبح من الضخامة بحيث لا تستوعبه ملحمة او ملاحم . »

عفوك ايها القـــارىء ، هذا الكلام ليس لي ، ولكنه للاديب المصري عز الدين اسماعيل ، اثبته في فصله الذي نشرته له « الآداب » في عددها السابق ، بعنوان « القصيدة الطويلة في شعرنا المعاصر » .

وقد احببت ان افتتح به القول في التعليق على العدد السابق من « الآداب »، لانه في الواقع يدل على نظرة عامة الى الشعر فاشية في بيئاتنا مع ما فيها بيئة الشعراء انفسهم . خلاصة هذه النظرة ان العصر لم يبق عصر شعر ! او ان اقصى ما يتحمل عصرنا من الشعر قصاز الاعمال الشعرية ولاسيما القصائد الغنائية ، فاما الملاحم التي تتطلب جهداً وثقافة في التأليف والنظم فضلاً عن التماس الموضوع ، وفضلاً عن الوقت الطويل ، فان عصرنا اصبح لا يتحملهـــا . ذلك ان الزمن يسير في خطف ، والقيم الانسانية تتغيّر في اسراع ...

وعندي ان اقل ما يقال في هذه النظرة انها خاطئة ، وانها تغطية لكسل الشعراء . فـــاذا كان ثمة عصر يتحمل الشعر بجميع فنونه ولاسيما فن الملاحم فهو عصرنا الحافل بجسام الاحداث ، الزاخر بكبار التيارات الفكرية ترج اعماق الشعوب . وليس بضائر الشعر ان القيم الانسانية تتغير في اسراع ، فهذه القيم انمـــا تتغير على اساس دائم ثابت هو الانسانية نفسها . والدليل الاقرب ان الشوط طويل بيننا وبين هومير أو الشاعر او الشعراء الذين ابدعوا الالياذة والاوديسية . ولكن طول الشوط الزمني بيننا وبين هومير ، مع ما اشتمل عليه من جسام الاحداث وتغير القيم لم يبلغ المحتوى الانساني ، بـل لم ينل من ذلك المحتوى الانساني الذي نجده في الاثرين الخالدين الالياذة والاوديسية !

لا اعتقد ان التاريخ عرف ، او سيعرف ، عصراً لا موضع فيه للشعر . فالشعر ، من حيث هو ، حاجة انسانية صميمية ، ولكنه يشكل مع العصور اشكالاً ويتصور صوراً ...

واذاً ، فقد احسنت «الآداب» صنعاً في اصدار هذا العدد الضخم ، خاصاً بالشعر في مطلع هذا العام الجديد . وانما نعتّ هذا العدد بالضخم لا جزافاً ، ولكني لم اجد نعتاً يتطـــاول الى توفيته حقه والى تقدير الجهـد الذي بذله الدكتور سهيل ادريس في تهيئته واخراجه للناس في احسن تقويم .

يمتاز هذا العدد بصفة الشمول والاحـاطة باحوال الشعر المعاصر في البلاد العربية وفي جملة من ابرز اقطـار الدنيا ثقافة وتقدماً حضارياً ، فليس هو مجرد عدد من مجلة ادبية ، ولكنه كتاب واسع الاطراف يدور بموضوع واحـــد ويستوعبه ، استيعاباً معمقاً في كثير من الاحيان ، فضلاً عن الـــنماذج الكثيرة التي يتحفنا بها من الشعر المعاصر ، فكأنها الزهرات القلائل تفتح ، لمن يراها ويشمها مطلات ، فسيحة على المروج الرحبة التي قطفت منها .

وبعد ، فاذا كان لمن يطالع هذا العدد ان يخرج بفكرة عامة ، فهي ان النقد والتحليل يقطعان مراحل بعيدة الى امام في الادب العربي ، وان الشعر العربي نفسه يثب وثبات مرموقة الى اعلى فاعلى ، تارة من حيث القالب والفن وطوراً من حيث المضمون والمحتوى ، واحياناً من حيث القـــالب والفن والمضمون والمحتوى مجتمعة كلها .

مستقبل الشعر العربي الحديث : يفاتح هذا العـــدد من « الآداب » قارئه بطائفة من الردود على استفتاء واسع يتعلق « بمستقبل الشعر الحديث . »

فيبدي الدكتور احمد زكي ابو شادي – وهو شاعر نزيل الولايات المتحدة الأميركية – تفاؤلاً بمستقبل هذا الشعر لأن الوعي الانساني لا القومي او الفني فحسب اخذ يتجلى بين ابناء العربية الموهوبين . وكنت اوافق على هذا الكلام موافقة مطلقة لولا اني ارى الوعي الانساني مكملا لا مراعى القومي والوعي الفني ، وعبارة الاستاذ ابي شادي تشعر بالقطع أو بالتمييز بينهما ، على الأقل . واذا كان للشعر العربي ان يظل «عبداً للرنين » كما يقول الاستاذ فان الجرس الموسيقي عنصر مقوم للكيـــان الشعري ، لا غنى عنه ، وان يكن ليس هو الشعر كله ، وفي الشعر العربي القديم نماذج كثيرة لم يكن فيها الشاعر محض عبد للرنين .

واعجبني في جواب الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا مأخذه على الشعر العربي المعاصر ان « الكايشه السياسية جعلت تعطي الكثير من الشعر رنيناً اجوف». « وان الشاعر ما زال يعتصم بموسيقى الالفاظ ليخفي عنا خلوها ». غير أنه حين أقبل على توجيه الشعراء الى ما يتداركون به هذا النقص كان كلامه غامضاً . ولعل ذلك راجع الى هذه الحقيقة ان الشعر الجيد بالنتيجة هو الشعر الجيد ، الماء هو الماء ، لا يزاد في تعريفه حرف .

وأما الاستاذ زكريا الحجاوي فاستوقفني منه أنه يأخذ على الشعر العربي المعاصر انه ما زال « مدموغ القومية » وانه يريد للعراقي أن يقرأ شعراً عراقياً لا عربياً ، وكذلك يريد للمصري وللبناني ، الخ ... وأنا اقول له ان هذا غير ميسور لأن هذه الخصائص العربية المشتركة في شعرنا المعاصر تعود الى طابعنا العربي المشترك . فأما اذا كان قصده ان تتعدد «الشخصيات الاقليمية » في الشعر العربي بتعدد الاوطان العربية فانا موافق ايضاً اذا كان قصده ان يخلص العربي من التجريد الى التحديد .

ورافقني من جواب الدكتور بديع حقي قوله « ان كل الاساليب الشعرية بما فيها السريالية والرمزية تلين للواقع وتمتح منه وتطاوع الحياة وتغنيها اما استجابت نفس الشاعر الى مؤثراتها . » وبعبارة اخرى : ان الشعر الجيد لا تعنيه الأساليب بقدر ما يعنيه البعد عن التكلف والتصنع حفاظاً على مدرسة شعرية معينة يتبعها الشاعر . ولن يتم هذا البعد عن التكلف والتصنع الا اذا فاضت به نفس الشاعر نتيجة لتجربة يحسها ويعيشها . يضاف الى ذلك ، فيما يتعلق بالرمزية والسريالية خاصة وجوب الابتعاد عما فتن به اتباع هاتين المدرستين من الغموض والذعر من الوضوح . وعندي ان الشعر اذا خشي مع الوضوح الابتذال او فقد شعريته لم يكن شعراً البتة.

وأما الاستاذ رئيف خوري وهو انا ولا فخر ! فساني حائر بين ان يعجبني ولا يعجبني تفصيله وتوضيحه المدرسيان للقضايا. فهذا الكاتب الدماغي الواقعي الفج احياناً، حري بأن يمزق غلالة السحر والفتنة عن الاشياء حين يتحدث عنها . ومع ذلك فهو من المتفائلين بمستقبل الشعر العربي ولكن بشروط اوضحها كعادته .

واما الاستاذ عدنان الراوي فقد عبر تعبيراً دقيقاً عما يختلج في نفسي حين قال : « ان الشعر العربي فقد الكثير من جمالية شكله في سبيل مضمونه ». وعندي ان العلاج لهذا النقص التغذي بالشعر القديم .

ومثل الاستاذ الراوي الاستاذ خالد الشواف يرى نزعة في الشعر العربي المعاصر الى الامتلاء في الموضوع والمضمون والمحتوى بقدر النزعة الى الضمور في البناء والتركيب . وهو يريد توازناً بين هذين العنصرين اللازمين للشعر . إلا أنه لم يهدنا الطريق .

واما الشاعر الاستاذ جورج صيدح فهو يصدر في جوابه عن ميل الى الكلاسيكية . يحب الوضوح في الشعر ، ويأخذ على الشعراء المعاصرين غموضهم وتعملهم وغرورهم. وكل هذا حسن . إلا ان الاستاذ صيدح يسوق الشعراء المعاصرين جميعهم بعصا واحدة ، كما يقال . والصحيح ان مآخذه لا تنطبق الا على نفر منهم ابتلوا بآفات الغموض والتعمل والغرور . وفوق ذلك ، نسي الاستاذ صيدح ان يؤكد ان الشعر اذا لم يكن صناعة هندسية او عملية حسابية « أو لغزاً معقداً غامضاً » ، فهو في الوقت نفسه ليس نثراً منظوماً كما يتصور بعض اتباع جناح خاص من المدرسة القديمة ، وحتى المدرسة الحديثة .

وأما الأستاذ صلاح الدين عبد الصبور فيمتاز بأنه يجمع الى الأحكام الصائبة في الشعر العربي معرفة بقديمه . على أنه يظلم الشعر القديم أحياناً حين يغلب عليه ما يسميه التلخيص والتعقيل . انه يعجب بالفتاة الغزلة التي تقول في شعرها العامي :

يا خوفي من امك لا تسأل عليك
لحظك في عيني واكحل عليك

وينسى قول ابن زيدون :

فلأكتفين بالمنى ولأشربنك بالضمير !

وهو أقوى . وهو أوفر حظاً من عدم التعقيل الذي يريده الاستاذ عبد الصبور .

ثم ان الشعر ليس هو فقط وقع الوجود على الوجدان ، بل هو أيضاً تعبير عن تحدي الوجود والتمرس بتبديله وتغييره. وهذا في رأيي سر روعة المتنبي مثلا . إنك تشعر وانت تقرأه ان يداً حديدية تعجن هذا الوجود وتجتهد في تغييره . ان شعره يرن رنة العمل لا رنة الكلام .

أما الأستاذ سلامه موسى فقد حوى جوابه كثيراً مما يعجب ويسفر عن حساسية وذوقية رهيفة في فهم الشعر قديمه وحديثه . هو يريد الشعر ان يكون اختباراً شخصياً ، وأن يكون الانسان انساناً ليعود اختباره الشخصي اختباراً شخصياً لكل انسان على هذا الكوكب . » ويأنف من « الشعر الاحترافي الذي يعيش به الشاعر ويؤديه سلعة .»

وأما الاستاذ جوزف نجيم — من المدرسة الحديثة — فلم يعجبني منه هذا التطليق بين الشعر والموضوع. فهو يزعم ان القليل من الشعراء لا النظامين يهتمون بالموضوع . ونحن نزعم أن الموضوع أساس في الشعر ، كما هو أساس في كل صنيع ادبي وفني، والنهوض بالموضوع محك اختبار لطاقة الشاعر وقدرته على التوليد . وصغار الشعراء هم الذين يريدون ضرب الصفح عن الموضوع والاكتفاء من الشاعر بالاخراج الفني .

ولعل جواب الاستاذ رجاء نقاش خير رد على مذهب الاستاذ نجيم. فهو يرى ان لا بد في الشعر من «وحدة قوية تعطي له صفة الكائن المتماسك الحي الذي ينمو باستمرار في وجدان القارىء كتجربة متكاملة معاشة هادفة الى غاية حقيقية » . ويريد ايضاً ، وهو راض ، ان مضمونات الشعر اتجهت الى خدمة قضايا انسانية » . وهذا كله مما يجعل في الشعر اهمية كبيرة ، بل كبرى ، للموضوع .

حنانيك نفسي ! الجواهري — على تعبير القدماء — فحل من فحول المعاصرين . وهو في التعبير الشعري أميل الى النهج الكلاسيكي منه الى النهج المولد الحديث . على ان الكثير من صوره ومعانيه جديد ، فهو من القادرين على وضع الخمر الجديدة في الزقاق العتيقة . سوى ان قصيدته هذه ما فارقت عمود الشعر العربي المعروف ، لا غرضاً ولا فخامة عبارة ولا طريقة وصف . ومع ذلك فهي تهز حتى الاعماق ، لانها تعبر عما تصخب به نفس الشاعر الحر ، من تحدٍ لاوضاع واشخاص يتنكرون للحرية والاحرار . غير انني في الواقع لم ادرك وجه الاتصال بين المقطع الاخير في وصف العاصفة على ضفاف دجلة وسائر القصيدة ، الا ان يكون الشاعر أراد ان الطبيعة تجاوبت ونفسه في هذه العاصفة في تلك الليلة الليلاء، حتى اسفر الفجر عن النسائم اللطاف الندیات والسماء التي انمسح عنها مركوم الغيم ، رمزاً لما لا بد ان يحدث من زوال الكابوس العاتي !

صلاة للقمر : أنا من المعجبين بنازك الملائكة ، أمكـــبر الشواعر العربيات في رأيي قديمهن وحديثهن . يعجبني منها هذه العبارة المؤنسة التي لا تتعقد لفظـــاً ولا تستغلق صورة ولا معنى . ويعجبني منها هذا الاحساس العارم المكبوت كأنه البركان الحبيس في صدر الأرض تسمع دويّه وتستشعر زلزلته للارض ولكنه لا ينفجر . وتعجبني منها مسحة الكآبة العميقة على شعرها وان كنت آخذ نفسي برياضة اقصاء الكآبة عن الأدب وعن النفوس . الا أنني كنت اتوقع منها في هـــذه « الصلاة للقمر » فوق ما اظفرتني به . وهل تراها صلّت للقمر في هذه المقطوعة ، ام اكتفت أن تقف موقف الساهر المستوحش الذي يرصد القمر ويحاول ان يخفف من وحشته باستدعاء جميع التشابيه التي يمكن ان يشبه بها القمر ويناجي بها ؟ واكثرهـا من التشابيه الحسيّة . وقد خشيت ان تشبه المسكين كالقدماء بقلامة الظفر بعدما شبهته بكأس الحليب . على انني طربت لخروجها من الحسي الى المعنوي في قولها :

يا ندم الليل والظلام ويا كفارة الغيم والأعاصير !

ثم احسستني القى نازك الملائكة حقاً في المقطـع الأخير ، فهي بعد ما ركبت على القمر ما ركبت من التشابيه ادركت ان ما فعلته ليس بشيء ، فعادت تقول له:

فابق وراء الحياة اخيلة الشعر فيها والحب والله !

وليتها منذ الساعة الاولى قالت له هذا ، واكتفت !

ندرة حداد من شعراء الرابطة القلمية : مقال متواضع للأستاذ ميخائيل نعيمة عن شاعر متواضع ، ولكن واجب الوفاء حال احياناً بين الاستاذ نعيمة والدقة في الحكم الشعري . فصحيح ان المرحوم ندرة حداد من الشعراء المعاصرين الصادقين في التعبير عن خوالج النفس دونما بهرجة ومغالاة وتصنع . اما ان يكون أصدقهم فليست لنا دلالة الا شهادة صديقه الاستاذ نعيمة . واطراحه البهرجة والمغالاة والتصنع قـــد عنّ في بعض الأحيان انزالاً للشعر الى مستوى النثر :

فلم اجد في الحباب بـــابـــاً لأرباحي ؟

أجل ، ولا الشعر رأى باب ربح في هذا النظم !

اللقاء : لا يمكن الحكم على هذا المقطع الشعري لانه جزء من اقصوصة شعرية بعنوان « هو وهي » .. فالحكم يجب ان يكون بالقياس الى « كل » الاقصوصة . يبقى اننا نستطيع ان نقول كلمة من حيث النظم والوصف ، الخ ... ولا بأس بالنظم فهو طليّ سهل . ولا بأس بالوصف والتصوير فانهما يحملان القاريء ولو ببطء الى « الجو » المرّاد . على أن السحب الشعري يشكو التفاوت . ويشكو النظم بعض التدني الى مستوى النثر ، كقول الشاعرة : « واخيراً » أو كقولهـــا « حرية الوطن العربي » فانها جرائدية ، وفي احيان ثانية نعوتها ضعيفة كقولها « جريء كالرياح » ، فان « جريء » هذه ضعيفة بعد قولها « عاصف جهم الظلال » « وجامح خشن » ... ومـع ذلك فالشاعرة طوقان في طليعة شاعراتنا خصباً وابداعاً .

الشعر المصري الحديث : في هذا الفصل للاستاذ محمود امين العالم جهد وعمق وحمل للنقد الادبي العربي الى آفاق جديدة . من ذلك انه يحاول ان ينظر من وراء الشعراء الى الطبقة الاجتماعية التي تكلموا بلسانها . ومن ذلك ايضاً حكمه بان الشاعر المصري الى وقت ما ، كان منفصلاً عن مجتمعه (*) وفوق ذلك يتناول التجارب التي حصلت في تجديد الشكل والقالب الشعريين ، كبناء النظم على التفعيلة الواحدة لا على الوزن الذي هو مجموعة تفعيلات . الا اني اخشى ان يكون الاستاذ العالم قد اشتط في الحكم حين زعم ان شعراء الجيل الماضي في مصر كانوا جميعهم في شعرهم كله « منعدمي التجربة الشخصية » ، وانهم اغرقوا في « سياحاتهم الخـــاصة داخل ذواتهم الفردة المنعزلة » . فحافظ حين سمع اللورد كرومر يتباهى باصلاحاته في مصر فقال له :

عملتم على عز الجمـــاد وذلنا فاغليتم طيناً وأرخصتم الدما !
لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظما !

لم يكن منعدم التجربة الشخصية ولا سائحاً في داخل نفسه الفردة المنعزلة ، بل كان معبراً اعمق تعبير واصدقه بلسان الجماهير المصرية عن رأيها في التبجحات الاصلاحية التي يرددهـا المستعمرون . والى ذلك بقي شيء لم يتعرض الاستـاذ العالم لتفسيره وهو ان هذا الشعر الجديد الذي يدعي له ، وبحق احياناً ، ارتباطاً بالحياة الاجتماعية العامة ، وصياغة ، وزوال الازدواج بين الحس والفكر ، الخ ... لا يتمتع لا بفخـامة التعبير ولا بروعة الصور والمعاني التي يتمتع بها شعر شوقي وحافظ ومطران على علاته . ومهما يقل الاستاذ العالم فان قول شوقي :

نيرون لو أدركت عهد كرومر لعرفت كيف تنفذ الاحكام

سيبقى اقوى وأشد هزاً للنفس ، وبالتالي اشعر من قول صلاح الدين عبد الصبور :

صنعوا الموت لاحباب الحياة وتدلى رأس زهران الوديع

قد يكون قول عبد الصبور « صنعوا الموت لاحبـاب الحياة » أغنى بالمعنى عند التأمل ، ولكنه اضعف دفعة شعرية واوهن تحدياً للظالمين وتحريضاً عليهم .

* او بالحري عن الجماهير الشعبية في مجتمعه (ر. خ).

وكل هذا ينتهي بنا الى القول ان الشعر الجديد الذي اثبته الاستاذ العالم مهما يكن له من مميزات ، فهو يفقد نكهته الشعرية سريعاً ، وتغني عنه معانيه ، سواء اقيلت منظومة على هذا الوجه او غير منظومة ، فاما الشعر القديم ، فلا تغني معانيه عما فيه من قوة الشجا والطرب . وبعبارة أصرح : الشعر القديم أبلغ ! واذا كان الاستاذ العالم لا يزال في شك فليقارن بين هذا الشعر العامي والفصيح الذي اورده في شتى زهران وقول شوقي في اعدام الفاشست الطليان لعمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء ... يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا مناراً من دم ... يوحي الى جيل الغد البغضاء
جرح يصيح على المدى وضحية ... تتلمس الحرية الحمراء

فان فيه من الزخر وقوة الاثارة والايحاء ما لا يحويه ديوان من هذا الشعر الجديد .

الى اجيرة : لستغفر الاستاذ نزار قباني . بل استغفر الشاعر وما ينبغي له من نبل . ان في هذا الشعر حطة لا تُدانى . وما ادري اي كان احط : المرأة التي اسلمت جمالها وجسدها للعبث وباعت نفسها بعرض ومتاع ، ام الشاعر الذي شهد على نفسه بانه اشترى امرأة بماله ثم راح يتبجح فيقول:

انظروا اي عربيد انا ؟

« زامبو » الطلسم : شكراً للدكتور سهيل ادريس . لقد علمني شيئاً عن شاعر كنت أجهله . واوقفني وقفة طويلة عند قوله : « ان الشاعر في رأيه هو « سارق نار » يضيء بها الظلمات التي تغشى علائق الاشياء فيما بينها ... » هنا الشاعر يشرف على التخم الفلسفي . وكل شاعر في رأيي ينبغي ان يكون شيئاً من فيلسوف مجلباً بجلباب الفنان !

يقولون في معركة الحرية والبقاء: هنا أديب فيه معدن الشاعر الحق ، يجادل بأيمان المثقف المؤمن بشعبه زملاءه المثقفين القانطين او اللامبالين ، يجادلهم بلغة الشعر ، وصوره :

يقولون ما يحمل الثائرون ... قصارى العزيمة ان تهدموا
وهل يلمع الفجر الا اذا ... تساقط نور الدجى المعتم !

ولكنه يرى احياناً :

اذا لم تكن نصف هذي البلاد ... من الثوب من قوتها تحرم

واحياناً يحشو :

أأمرح يوماً على شرفة ... يداعبني الفجر اذ يقدم؟

فما معنى « إذ يقدم » هذه ؟ وماذا يفقد المعنى اذا وقفنا عند قوله : « يداعبني الفجر » .

الشعر والحلم: يصدر الاستاذ عبدالله عبد الدائم في هذا الفصل عن المذهب القائل بان الخلق الفني تجميل لواقع قبيح ، أو تعويض عن رغبات مكبوتة ، الخ ... ولا شك أن من الخلق الفني ما يصدق عليه هذا المذهب ولكن من الخلق الفني ما هو ايضاً عمل على تغيير الواقع ، وهذا ما نريد . نريد فناً هو التبصير والتوجيه ، لا فناً هو التعزية الوهمية !

من رؤيا فوكاي : الشاعر الاستاذ بدر شاكر السياب في طليعة من يتمرسون بتجارب تجديد الشعر العربي ، قالباً ومضموناً . وله في هذا المجال صولات ناجحة . الا ان الاستاذ بدر شاكر ما زال شأنه شأن اكثر الرعيل المجددين الشعراء المعاصرين ، يعرف كيف ينبغي للشعر الجديد حقاً ان يكون من حيث الموضوع والتعبير ، الا انه حين يحاول النهوض بما يعرف انه الواجب تخونه مقدرته . فيحس قارئه أنه قصد الى شيء اروع واتم مما استطاع الى تحقيقه سبيلاً ، فقد ترك شيئاً كثيراً وراء ما قاله لم يوفق الى قوله . وبعبارة اخرى ، هو لا يزال ناقد شعر اكثر منه شاعراً يفي شعره بما تتطلع اليه نفسه . حقاً ، ان موضوعه حتى في هذا المقطع ليتحمل اكثر كثيراً مما اخرج لنا !

اصوات الشعر الثلاثة : أراد الشاعر المعاصر الكبير ، ت . س . اليوت ، بهذه الاصوات الثلاثة : صوت الشاعر الغنائي ، وصوت الشاعر المسرحي ، وصوت الشاعر الملحمي ، واليوت يبدي في هذا الفصل أنه حقاً ناقد كبير الى كونه ذلك الشاعر الذي ملأ العصر . وصحيح قوله بان اصوات الشعر الثلاثة تتوجد في الغالب معاً . وأصح منه قوله : « اذا لم يخاطب الشاعر نفسه على الاطلاق انتفى ان يكون ما ينتجه وان جاز اعتباره بلاغة رائعة . » يعني ان الشاعر وسواء اكان ملحمياً ام غنائياً ام رومانتيكياً ، يستمد بالنتيجة من نفسه ويخاطبنا بصوت نفسه . فالشعر الغنائي ، هو القاسم المشترك لفنون الشعر كلها . بقي أن يعرف الشاعر كيف يوقع الانسجام بين هذه الاصوات الثلاثة ... وبعد ، فشكراً للاستاذ منح الخوري على هذه الترجمة الفصيحة الواضحة . فانها ليست كالترجمات التي اعتدناها تشبه المكتوب الذي يجب ان يلحق به قارئه ليتلوه على من ارسله اليهم لكي يجدوا الى فهمه سبيلاً.

عرافة : في هذه القصيدة التي لا أدري لماذا أحب شاعرها الاستاذ عبد القادر القط ان يسربلها بالغموض فمنونها بالعرافة ، نبرة تفاؤل محببة . وقد أحببت فيها بيت القصيد :

تهب الحياة لنا غداً ... من مثل ما نهب الحياة

كما احببت خاتمتها .

الحصيد : أما « الحصيد » للاستاذ خالد الشواف ، فانها على جمال النظم والتصوير وحسن السرد ، غامضة الغاية . واحسب غايتها إظهار التعلق بالارض والالهام الذي تفيض به الأرض حين تعطي حصيدها المتلىء . إلا ان هذه الغاية — اذا صحت — غامضة . وبالتالي ان ختام القصيدة لضعيف .

خصائص الشعر العربي الحديث : هذا البحث لنعمات احمد فؤاد هو على طوله اوضح من أن يعلق عليه بكلام طويل . ذلك انه عبارة عن

ترتيب وتسجيل لخصائص في الشعر العربي الحديث قليل من يجادل فيها . على انها لم تسلم من الخطأ في تقدير بعض الشعر . فقد فاتها مثلاً قوة التهكم والتحدي في قول حافظ ابراهيم لجلاد دنشواي :

احسنوا القتل ان ضننتم بعفو ... أنفوساً أصبتمُ ام جمادا ؟
انت جلادنا فلا تنس انا ... قد لقينا على يديك الحدادا!

ثم فاتها لاعجابها بالشعر الحديث ان تنبه على السخف في قول الشاعر مثلا :

يا رفيقي انا وأنت وعمي ... وابن عمي جماعة من عبيد!

والشكر للوزن الذي ضاق عن ان يعدد لنا الشاعر امه وخالته وسائر الانسباء !

الأرغن الصغير : قرأت هذه القصيدة لنسر المنابر الدكتور نقولا فياض فتذكرت قول ميسه : ان كأسي صغيرة ولكني اشرب من كأسي — واعجبني قوله في الشعر :

يخلق اللذة من آلامنا ... ويغذي الشك فينا باليقين

فقد عبر تعبيراً واضحاً عن المذهب القائل بان الشعر عملية إيهام .

ملامح من الشعر العراقي الحديث : هذا الفصل يفي بعنوانه . انه حقاً ملامح من الشعر العراقي الحديث . احكام كاتبه معتدلة وغير جارفة . على اني كنت اتمنى لو جاء هذا الدرس اعمق وابعد استقصاء . فالشعر العراقي هو حقاً كما يقول الاستاذ محيي الدين اسماعيل « اخطر تعبير عن الشخصية العراقية » بل هو اكثر من ذلك : ان الشعر العراقي لفي طليعة الشعر العربي المعاصر ، وكان مركز الثقل في الشعر يدور في هذه الحقبة لينتقل من مصر ولبنان الى القطر العراقي الشقيق .

ويعجبني من الاستاذ اسماعيل التفاتته الدائمة الى ان الشعر عمل فني ، ولذلك ينعي على بعض الشعراء تضحيتهم القوالب الفنية في كثير من الاحيان نزولاً عند ضرورات العقيدة ، اي : ليفهم عنهم الناس ، وليس هذا بالسبب الكافي .

حياتي : ارجو ان تكون حياة الاستاذ بلند الحيدري أغنى بالمعاني واشرق من هذه القصيدة . وان حياته لكذلك ، على انه بهظ هذه القصيدة العادية بهذا العنوان الضخم .

عالم فارغ : يحلو لي ان اقارن بين هذه القصيدة للشاعر صفاء الحيدري ، وقصيدة نزار قباني « الى اجيرة » . فكلتا القصيدتين من معدن واحد ، معدن الحنق على امرأة . ولكن قصيدة صفاء الحيدري فيها مأساة عاشها الشاعر في امرأة ، وتحببه الينا هذه المأساة لان نفسه لم ترشح تحت ضغطها بحطة كالتي نجدها ممثلة في القصيدة الاخرى . . . على ان لي ملاحظة . فهذا التكرير : « ومضى النهار ، مضى النهار » اقرب الى ان يكون مضحكاً . ثم ان اغلب الظن انه اراد ان يقول : « كنت كمستحم في نار » فحكم عليه الوزن بان يقول « فوق نار » لعن الله الوزن .

عودة اللاجئين : موضوع هذه القصيدة للشاعر عاطف كرم اعظم منها : انها لا تستنفده ولا تنهض به . على ان فيها من لقيات التعبير وجماله ما يبشر بان في بردتي عاطف جسماً غير ناحل ولا هزيل من الوجهة الشعرية . ألا تعجبك معي فخامة مطلعه :

عاتي المجد واعصفي يا ملاحم ... غرقت بالدماء ارض المراحم

ومن قوله :

شبع الفقر منهم وارتوى الظلم ... ومدت على النجيع الولائم

وقوله متحدياً :

ان تكن تلكم الحضارة ، غني ... يا ضواري وهالي يا ضياغم!

العيون الظماء للنور : قصيدة من الشعر الجديد الذي يستحق نعته . تشتمل على محتوى اجتماعي ، ثوري ، وتحتفظ بالفنّية مع السهولة والطلاوة والقوة :

من دموعي سقيت هذي السنابل
فاحصديها لسيدي يا مناجل !

قد لا يستعمل الفلاح الموطوء بجزمة الاقطاعي مثل هذه اللغة . ولكنك تحس حين تقرأها ان وضعها بلسان فلاح طبيعي جداً . وفي هذا سر فنّيتها .

على ان الشاعر يوسف الخطيب لم يسلم من بعض هنات . فهذه الـ « واكثر » في قوله :

ويرد الجبان ليثاً واكثر

كان باستطاعته ان يعفي شعره منها . ولكن لعله كان ساعتئذ يستمع لعبد الوهاب منشداً :

يا حبيبي لك روحي ... لك ما شئت واكثر !

حبذا لو كسر الاسطوانة !

ميسترال شاعرة الحنان والامل : فصل مثقف عن هذه الشاعرة الملهمة . وما ورد في هذا الفصل من الشعر المترجم لميسترال جميل حقاً في أصله وفي ترجمته . ولا بدع فالاستاذ خليل هنداوي صاحب هذا الفصل من الاقلام التي لا تتنكر للعربية ولا تتنكر لها العربية .

الناس في بلادي : تجربة محمودة للشاعر صلاح الدين عبد الصبور في تسهيل الشعر وتبسيطه مع تعمقه . ويعجبني من الاستاذ عبد الصبور انتباهه للامكانات الكامنة في وزن الرجز التام منه والمجزوء . فقد نحى القدماء هذا الوزن ليستعملوه في الشعر العلمي ، مع انه من اغنى الاوزان العربية بالطاقة على استيعاب الشعر بكل فنونه : القصصي الملحمي ، والمسرحي والغنائي ، القريب العبارة من تناول الشعب .

على ان قصيدة الاستاذ عبد الصبور رغم انها تجربة محمودة ليس فيها الزخر الذي يفرض صورها ومعانيها فرضاً على الاذهان . إنها باهتة شيئاً ما .

الطوفان الاسود : من عنترة بن شداد العبسي الى محمد مفتاح الفيتوري — عرف الشعر العربي نفراً كريماً من الشعراء السود . والشعب العربي الذي

مقت العنصرية فرفع عنترة الى مقام البطل القومي وجعله مثال الروعة في المروءة والبيان، يعتز بأن تكون لغة العربية واسطة الاداء لشاعر ثوري كالاستاذ الفيتوري يزخر شعره باصداء من صوت افريقيا المنتفضة على الاستثمار والاستعمار، لتتحرر:

وتحفر تاريخها من جديد على جبهة الشمس حفر الجراح!

ألا ان هذا ليس بطوفان اسود. الطوفان الأسود هو في الحقيقة الطوفان الاستعماري الذي بدأ ينحسر عن الدنيا. فاما طوفان الاستاذ الفيتوري فهو من ضياء فجر الحرية الصافي.

يبقى اني اقترح على الاستاذ الفيتوري أن يجد لي نعتاً غير «العاطفي» في قوله: «واسكره حلم العاطفي» ولو كلفه الأمر ان يصعد إلى السماء او يذهب الى الجحيم. فلشد ما هي مبتذلة هذه العاطفي ...

وثبة الشعر اللبناني: يعتذر الاستاذ موريس صقر كاتب هذا الفصل بقوله: «ولم يكن بوسعنا في هذه اللمحة العجلى ان نتوقف عند كل شاعر من شعرائنا لنتبين خصائصه وينابيع الهامه ...» واعتذاره مقبول. على انه قد وفى الشعراء الذين وقف عندهم حقهم، فأحسن في وصف الاساتذة بشارة الخوري والياس ابي شبكة ويوسف غصوب وسعيد عقل بوجه خاص. ورأينا من رأيه في الأهمية التي أسندها الى الشعر اللبناني في الشعر العربي الحديث. إلا أنه قليلاً ما ألمّ بالخطر الذي يحدق بالشعر اللبناني؛ فابرز الشعراء اللبنانيين قد سكتوا أو انفقوا ما عندهم. والتجارب الشعرية اليوم لا تحدث في لبنان بل في العراق. وقصارى ما يحدث في لبنان التغني باننا بلد الاشعاع، أو محاولة بعض شعراء الفصحى فيه ولا سيما سعيد عقل ان يعودوا فينظموا بالعامية ما نظموه بالفصحى. اجترار.

وبعد، فبشارة الخوري في الابيات النونية التي اثبتها له الاستاذ صقر لا يصف المتيم وانما يصف الشاعر، وهي جزء من قصيدته في رثاء المرحوم الياس فياض.

رجاء: قصيدة للاستاذ سليم حيدر: موسيقى في كلمات! وستكون من مبررات وجوده يوم لا تكون وزارة. ينشد الاستاذ حيدر:

حطمت اقداحي يأساً من الراح
يا شقوة الصاحي سكران تذكار!

فليتقبل سلامي سكران شعر... اما قوله «يفشي على الساري»، «وارتاح قيثاري» ففي نفسي منهما شيء من الناحية اللغوية.

اطلق رجاء جديدا: اعز اصحابي رئيف خوري، يضرب بسهم في كل شيء، أو له في كل عرس قرص كما يقولون، في النقد الأدبي، والقصة والمقالة السياسية، والاجتماعية، والشعر أيضاً. لكن ليأذن لي أن اعرك اذنه لهذا التكرير: «قد كان فيك» «وكان فيك». ثم لم لم تعجبه «يشع منها الضياء» حتى عدل عنها الى «يضج»؟. هل لحقه هو الآخر هذا الداء الذي لحق المحدثين: داء الاغراب في المجاز؟ لكن على كل حال عافاه الله. فما كنت اقدّر أن تحت هذه القشرة التي يرتديها احياناً من الاستخفاف ما زال ينبض كل هذا الجد.

الشمس الغاربة: سهولة وموسيقى في النظم. وعبثاً تفتش عن شيء آخر في هذه القصيدة للحوماني حتى الصورة والعاطفة اللتين كان يفترض الموضوع ان تزخر بهما هذه القصيدة.

الى واحدة: كنت اؤثر ان افرأ:

تعانقت المشارق ساجدات لدى قبس بعينيك استحما!

ثم يسكت صديقي الاستاذ جوزيف نجيم ليتركني اتمتع بغنى من الاضواء والالوان والمباهج يثيرها في هذا البيت دون ان يشوش علي بسائر ما قال في هذه القصيدة من شعر لا يخلو من جمال لكنه يبوخ تلقاء جمال بيت القصيدة عنده. سيذكر الناس قصيدة «الى واحدة» بأنها القصيدة التي فيها بيت واحد!

الشعر الفرنسي الحديث: فصل استعرض فيه الاستاذ صلاح ستيتيه استعراض مطلع مواكب الشعراء الفرنسيين في العهد الحاضر. وإنه لفصل مثقف في احوال شعراء الفرنسية وآثارهم التي يبدعون. لكن الاستاذ ستيتيه قد بنى بحثه على الأعلام أكثر من بنائه اياه على المذاهب والمدارس.

الشمس تشرق على المغرب: في هذه القصيدة للشاعر الاستاذ كاظم جواد ترديد لم اتذوقه ولم اجد مبرره لا من جهة الموسيقى ولا من جهة المعنى: «يناديك، يناديك، يناغيك، يناغيك» الخ... وفيها تغيير في الوزن عند قوله: «اتسمعين ضجة الرفاق من بعيد»، يشعر القارىء فوراً بنشاز. وغريب ان يدخل الاستاذ جواد «لما» على المضارع في قوله: «لما يورق الجدب». الا ان في القصيدة اشراقات تدل على شاعر من معدن نفيس ممتاز، وفيها روح وقدة وطنية وانسانية حارة.

الشعر في سوريا: لبق وبارع هو هذا الاستعراض الذي يقوم به الاستاذ شاكر مصطفى لشعراء سوريا، ولعل القطر الشقيق في هذه الفترة اغنى بالشعراء منه في اي فترة مضت منذ الانبعاث. ويبدو على الاستاذ شاكر انه لا يحب ان «يدقر» احداً، فاذا اغتفرنا له هذه «اللباقة» كان فصله من اجود الفصول التي استعرض بها كتّاب هذا العدد من «الآداب» الشعر، في هذا الصقع او ذاك من الاصقاع. وتميز فصله هذه الشواهد المنتقاة انتقاء مترفاً من شعر الشعراء السوريين. ولن اختم هذه الكلمة العجلى في فصل الاستاذ شاكر قبل ان انوه

باعجابي بطريقته الشعرية في وصف الشعر ، ألم تقرأ قوله في بدوي الجبل هذا الطود الشامخ من اطواد الشعر العربي الحديث : « كل بيت عنده كالزهرة الانيقة ، كالكأس المترعة ، فيها اللون والتويج النضيد وفيها العطر والنشوة الاخيرة . » ؟

خالقة : ليس « بدوي الجبل » في خالقته هذه على ابهاء وأتمه . ومع ذلك فكأني بهذا الشاعر الفذ قد ثأر للغزلين من الصوفيين . استعار هؤلاء من الغزلين صور تعابيرهم وفنون معانيهم للتوله بالعزة الالهية . فكرّ البدوي عليهم أعني الصوفيين ، ورد الى الغزلين بضاعتهم وحمل معه الكثير من بضاعة الصوفيين انفسهم :

من موطن النور هذا الحسن اعرفه حلو الشمائل قدسي الاسارير

اما الترف والاناقة في تخيّر اللفظ والصورة ، واما الاحكام في النسج وقوة الصب في القوالب الشعرية ، فحدث عنها عند البدوي ولو كره المحدثون !

حرب على الاقطاع : هنا ، على يد هذا الشاعر الاستاذ عبد الحميد عيسى ، يتحول الفخر العربي الذاتي القديم ، والنشيد الفردي الحماسي ، الى فخر جماهيري وهتاف شعبي يضج ويتصاعد من اغوار عميقة الى ذرى شاهقة ، مرتفعاً باجنحة حية قوية من اللفظ المعبر والسبك العازف عزفاً صاخباً حاراً .

فجرنا الثائر شق الافق وانداح الينا !

اي قوة في هذه اللفظة المفردة : انداح : واي قوة في قوله : « فجرنا الصراع » وغيرها من التعابير الموجهة المثيرة . . على انني كنت أتمنّى لو وجد معدلاً من لفظة « الرعاع » ، فليس فيها التحدي الذي قصد اليه من استعمالها .

الشعر الروسي الحديث : ليكن رأينا في الادب السوفياتي ما شئنا . ولكنني اعتقد ان من النقص ان لا يوجد اديب عربي مطلع على هذا الادب عامة والشعر خاصة ، بحيث يستطيع كتابة فصل فيه كالفصل الذي انشأه الاستاذ ستيتيه عن الشعر الفرنسي ، او الاستاذ صائغ عن الشعر الانكليزي ، الخ . . . فكما اننا لا نسلم سلفاً لمن يمجدون كل شيء سوفياتي ، كذلك لا نسلم لمن يريدون ان يفرضوا الحرم والحظر على الثقافة السوفياتية .

وبعد ، فان هذا الفصل الذي نقلته « الآداب » عن الشعر السوفياتي الحديث من مجلة سوفياتية ناقص حتماً لانه انشيء سنة ١٩٤٧ ، وهو الى ذلك عبارة عن عرض عام واحكام مجردة ، لا يفيد منها من ليس له سابق المام بالموضوع الا فائدة يسيرة .

الحقد المقدس : تتراوح هذه القصيدة ، للشاعر المصري سعد دعبيس ، بين العبارة الشعرية الأصيلة والعبارة النثرية العادية التي تعترض القارىء لتقطع عليه نشوته بكثير من صور هذا الشعر ومعانيه . إلا ان القسم في خاتمتها يؤلف « سحبة » شعرية حارة من النفس العالي . غير اني لو كنت صاحب القصيدة لما وقفت حيث وقف الاستاذ دعبيس ، فان ضم قبر الأب ولثم قبر الأم ، ليسا بأوج كاف لهذا القسم الرهيب . كنت اجعل اللاجىء العائد الى دياره ينذر بان لا يكفي « بهدم ما بناه الظلم

دار البيضاوي - بيروت

للتأليف والترجمة والنشر

ص.ب: ٢٩٩٥ تلفون: ٣١٣٠٧

اصدرت حديثاً

الليالي البيضاء

رائعة الاديب العالمي الكبير

دوستيفسكي

نقلها الى العربية

المحامي عبد الله البيضاوي

قصة إنسانية يزهو ببلاغتها وعمقها ويسر تناولها وروعة تحليلها ، الأدب العربي الحديث ، وترتفع بها الترجمة العربية الى الذروة التي يتيح لها ان تستشرف كل قمة في الآداب العالمية الأنسانية الخالدة .

توزيع المكتب التجاري — بيروت

الثمن ١٢٥ ق . ل . او ما يعادلها

في الأمس الكئيب »، بل ينذر بتشييد الوطن الحبيب تشييداً جديداً أسّه العدالة والسعادة والعزّة .

الشعر الانكليزي المعاصر : لست مؤهلاً للحكم على مدى التوفيق الذي احرزه الأستاذ توفيق صائغ في انشاء هذا الفصل، لأني تعوزني المقدمات الضرورية ، لكن يخيل لي ان الاستاذ صائغ ذو اطلاع واسع في الموضوع الذي يبحثه .

قلب الشاعر : مدار هذه القصيدة على الفكرة المعروفة ان الشاعر — على حرمانه — يزيد في جمال الوجود وثروته .

يا خالق الفن الذي امرعت رؤاه في قلب الحياة الظمي
ولم يزل قلبك في حدبه على فراغ موحش يرتمي !

ولا بأس بالصور التي جلا بها الاستاذ كمال نشأت هذه الفكرة المعروفة .

إلا اني آخذ على الاستاذ كمال نسيانه لتلك الغبطة الغامرة التي يحسها الشاعر حين يخلق . انها غبطة الأم بوليدها ، غبطة ممزوجة بالألم ، غير انها مع ذلك لا تعدلها لذة عند الشاعر الحق ، ولا سيما اذا وجد ان ما يخلقه بالكلمات يتحول الى نور في قلب شعبه وحماسة في سواعدهم لحطم القيود وابداع البناء.

عانس : يؤسفني ان يكون هذا الحوار الشعري للاستاذ زهير ميرزا فاشلاً . فنظمه بوجه عام ركيك ، وغير موح ولا يعبر :

او لا ترين الوجه مني قد زها ؟

ان « مني » هذه ثالثة الاثافي حقاً !

وفوق ذلك لا أرى الاستاذ ميرزا قد وفق اذ جعل العانس تقتنع بأن رجلها الموعود لم يأت . كانت تقضي براعة التأليف ان تبقى العانس مصرة على انه آت ، وان لا يفهم سوى امها والقارىء انه لم يأت ولن يأتي .

القصيدة الطويلة في شعرنا المعاصر : يصيب الاستاذ عز الدين اسماعيل حين يقول « ان القصيدة العربية الطويلة كانت تكتسب طولها في الواقع من اشتمالها على عدة موضوعات غنائية . » ينطق هذا على تائية الفارض مثلاً ، وينطبق على قصيده شوقي : « كبار الحوادث في وادي النيل » لكنه لا ينطبق الانطباق كله على مطولات خليل مطران مثلاً ، : « الجنين الشهيد » و « نيرون » ، فالوحدة والوصف والسرد القصصي بارزة التخطيط والملامح في هاتين القصيدتين ، ولا اعلم لماذا فاته ذكرهما . ثم لا اعلم لماذا اقتصر على ذكر مسرحيات شوقي واباظه ولم يمد ببصره الى المسرحيات والمطولات في الشعر اللبناني المعاصر ، كمسرحيات سعيد عقل ومطولاته ، ومطولة صلاح لبكي « سأم » ومطولة الياس ابو شبكة « غلواء » والسيرة الشعرية التي وضعها الشاعر المثين الاستاذ بولس سلامه عن علي بن ابي طالب . وفي الشعر السوري المعاصر مطولات ايضاً يقوم بابداعها الشاعر عمر أبو ريشة .

الشعر الاميركي الحديث: وما قلته في فصل الاستاذ صائغ عن الشعر الانكليزي المعاصر يصدق عليّ في موقفي من هذا الفصل ايضاً، فاني تعوزني المقدمات الضرورية للحكم . لكن على كل حال شكراً للاستاذ جبرا ابراهيم جبرا على ما زودنا به من معلومات !

الخيمة الباكية : « يدور بجوفي » ! ليأذن لي الدكتور بديع حقي ان اقول له انه اقترف جناية في حق الذوق حين رضي عن اثبات مثل هذه العبارة . وليثق انى لو لم اقلها لظلت «تدور بجوفي » وتكربني . بقي ان اهنئه على هذا الوضوح في قصيدته ، فهو شيء قلما عودنا اياه .

شاعر وجمهوره : مترجم هذا الفصل الاستاذ عبداللطيف شرارة ، مروض ماهر من مروضي العبارة العربية . لذلك قلما تلمح على ترجمته اثراً من آثار العياء الذي يمتحن بها اللغة كثير غيره من المترجمين . فله تهنئتي .

اما الشاعر الانكليزي روبرت غريفز فقد اعجبني حقا حين نعى على الشاعر «الجهد الذي يبذله ، ولا مبرر له ، في السعي وراء جمهور كثيراً ما لا يكون محكاً للشعر الجيد ، ومحك قصيدة ما هو فيما اذا كان يمكنك ان تتأثر حين تعيد تلاوتها ، بعد ان يتفق النقاد على انها قطعة رائعة ، ويمضي على حكمهم هذا ثلاث سنوات .»

ثلاث سنوات ... ليس هذا بالشيء الكثير !

وفي الختام ، حسبي ان اعيد القول ان هذا العدد من « الآداب » فخم حقاً ، وانه سيبقى الى وقت طويل مرجعاً من المراجع القليلة، القيمة ، التي يستطيع الباحثون ان يتلمحوا منها وجه شعرنا المعاصر ، وفهمنا للشعر في العالم .

رئيف خوري